ما السبيل إلى الحد من هجرة العقول العربية حالة الجزائر

الاستاذة :قوبع خيرة **الاستاذة:سليمان عائشة**

جامعة تلمسان **جامعة مستغانم**

الاستاذ :بن حجوبة حميد

الجزائر

ملخص

تتمثل النتائج الخطيرة لهجرة الكفاءات العلمية في فقدان الوطن لإمكانات هذه الكفاءات العلمية والفكرية والتربوية التي أُنفقت على تعليمها وإعدادها أموال وجهود كبيرة، حيث تؤدي هذه الهجرة لإعاقة عملية التقدم، وإبطاء حركة التنمية وإضعافها، وإلى إبطاء عملية الإنتاج العلمي و التكنولوجي.لقد تزايدت هجرة العقول العربية في العقود الأخيرة لأسباب كثيرةمنها عدم توفير الظروف المادية والاجتماعية التي تؤمّن مستوى لائقا من العيش، بالإضافةإلى ضعف الاهتمام بالبحث العلميوعدم وجود مراكز البحث العلمي المطلوبة، إلى جانب المشاكل السياسية والاجتماعية، وعدم الاستقرار الذي تعاني منه أقطار عربية مختلفة.تتناول هذه الورقة موضوع هجرة الكفاءات العربية من منظور اقتصادي وفني في أغلب الأحيان، كضعف الإنفاق على البحث العلمي أو تحسين الظروف الاقتصادية. وحاولنا اقتراح بعض الآليات التي تمكن المجتمعات العربية الاستفادة من الكفاءات المهاجرة والإشارة إلى تجربة الجزائر في المجال.

الكلمات المفتاحية: راس المال البشري ،هجرة الكفاءات، العقول العربية، الأدمغة.

openkandl.com

Abstract

The seriousconsequences of the migration of scientific talent in the loss of the homeland of the potential of thesescientific, intellectual and educationalcompetenciesspent on education and preparation of money and great efforts, wherethis migration leads to obstruct the process of progress, slow down development and weaken the movement, and to slow down the scientific production and technologicalprocess. Arabbrain drain has increased in recentdecades for manyreasons, including the failure to provide the material and social conditions thatprovide a decent standard of living, in addition to the lack of interest in scientificresearch and the lack of scientificresearchrequiredcenters, as well as political and social problems, and instabilityexperienced by differentArab countries . This paperaddresses the subject of migration of talent from the Arabeconomic and technical perspective often, such as poorspending on scientificresearch or to improveeconomic conditions. Wetried to propose somemechanismsthatenablecommunities to benefitfromArab immigrant talent and the reference to Algeria'sexperience in the field.

Key words: human capital, brain drain, Arab minds, brains

openkandi.com

مقدمة

إن وجود الانسان المفكر والعالم في مجتمعه يشكل عامل قوة وعنصرا مهما في ركيزة البناء الاقتصادي والمعرفي لبلده. وفي ظل النظام العالمي الجديد الذي يتحمل عبئا ليس بالقليل في استقطاب الكفاءات العلمية فهو مما لاشك فيه لاينظر إلى مصالح الكيانات البشرية في الجانب الآخر من العالم على أنها كيانات بشرية تستحق أن ترقى إلى ذات المستويات التي يتمتع بها العالم المتقدم. فعلى الرغم من المؤتمرات والندوات التي تعقد تحت غطاء إزالة الفوارق مابين العالم الغني والفقير إلا أن تلك الندوات والدراسات لاتنتهي إلى شيء يذكر قياسا إلى حجم واتساع الهوة مابين العالمين نتيجة لسياسات العولمة الجديدة في استغلال ثروات الشعوب وتسخيرها لمصلحة اقتصادياتها. وبرغم أن ظاهرة الأدمغة أو هجرة العقول أو هجرة العلماء وما يطلق عليها بـــ نزيف العقول (**Brain Drain**) ليست بالظاهرة الحديثة،إلا أنها ما زالت تستأثر بالاهتمام الكبير للدول النامية والاهتمام الأكبر من قبل الدول المستضيفة وهي الدول الصناعية المتقدمة وعلى رأسها الولايات المتحدة الأمريكية ، وذلك لما لهذه الظاهرة من آثار وانعكاسات خطيرة بالنسبة لمستقبل البلدان الأقل نمواً في الجوانب الاقتصادية و الاجتماعية و الثقافية ، ولما تجلبه من مكاسب لا يمكن تقديرها بثمن بالنسبة للدول المتقدمة بل وأكثر من ذلك ، فإنه ورغم شعور الدول النامية بمحاذير و أخطار استمرار هذه الظاهرة بل وميلها للتعاظم و التفاقم ، فإن الجهود التي تبذلها للاحتفاظ بعلمائها و مفكريها و الاستفادة من قدراتهم الخلاقة ما زالت ضحلة ومتواضعة للغاية ، وفي كثير من الأحيان تمارس على هذه الفئة مواقف و تصرفات تشكل عوامل نبذ تدفعهم لمغادرة أوطانهم و البحث عن أوطان أخرى يسهمون في تطويرها و تقدمها ولاسيما أن هذه الدول توفر لهم كل الدعم المالي و المادي و المعنوي.

وسوف نتطرق في هذه الورقة البحثية إلى أربع محاور :

المحور الأول: الاستثمار في رأس المال البشري

المحور الثاني:ظاهرة هجرة الكفاءات والعقول العربية

المحور الثالث:إحصائيات عن العقول العربية في الخارج وآثارها على دولها الأصلية

المحور الرابع: آليات الحفاظ على الكفاءات والعقول العربية (حالة الجزائر)

وبناءاً على هذا نطرح الإشكال التالي:

"ماهي مختلف العوامل والأسباب التي أدت لاستمرار الظاهرة وما هي المجهودات التي بذلتها الدول العربية بصفةعامة والجزائر بصفة خاصة للحد منها"؟

وفي هذا المحنى، وعلى ضوء ما تقدم تتبلور لنا معالم إشكالية البحث والتي تتمحور حول التساؤلات الفرعية التالية:

- –ما ذا نعني بظاهرة هجرة الكفاءات والعقول العربية ؟
- ما هي الأسباب الحقيقية المؤدية إلى هجرة الكفاءات الوطنية؟
- ما هي السياسات والطرق العربية لمواجهة الظاهرة عموما وفي الجزائر خصوصا؟

الفرضية:

للإجابة على هذه الإشكالية والأسئلة الفرعية وضعنا الفرضية التالية:

- ان هجرة الكفاءات العربية من مواطنها الأصلية باتجاه العالم المتقدم يؤكد على مضاعفة الخسائر الناجمة نتيجة لفقدان تلك الكفاءات الأمر الذي يزيد من حجم الأعباء التي تلقي بظلالها على واقع اقتصاديات البلدان العربية.

هيكل البحث:

.بالرغم من أن البحث ينحصر في هجرة الكفاءات العربية الا انه لابد من التعريفبأهمية الاستثمار في رأس المال البشري الذي يهتم بالدرجة الأولى بتطوير قدرات البشر العلمية والإبداعية باعتبارها العنصر الأساس في عملية التنمية الاقتصادية قبل التطرق الى ظاهرة هجرة الكفاءات والعقول والأسباب المؤدية لها والحلول المقترحة للحد منها.

أهمية الدراسة :

- تكتسب الكفاءات العربية أهمية بالغة في بناء وتطوير برامج التنمية الضرورية واللازمة لدفع عجلة الاقتصاد العربي؛
- خطورة الظاهرة والآثار المترتبة عنها.

الأهداف:

نهدف من خلال هذا البحث إلى تحقيق جملة من الأهداف:

- تشخيص الأسباب الدافعة لهجرة الكفاءات العربية إلى الدول المتقدمة.
- خلق البدائل الموضوعية والعملية لتثبيت العقول والكفاءات في مواقعهم والحد من آثار تلك الظاهرة على مستقبل الأجيال الواعدة والعمل الدائم من اجل إنجاح التنمية الاقتصادية في البلدان العربية وصولا للأهداف المنشودة لها.

منهج البحث:

من خلال ورقة بحثنا هذا وللوصول إلى النتائج اعتمدنا على نوع من التكامل المنهجي، حيث كانت الحاجة إلى المنهج التاريخي لتطرقنا لتاريخ هجرة الكفاءات والعقول العربية، وحاجتنا كذلك إلى المنهج الوصفي التحليلي لدراسة الظواهر والقضايا وتحليلها والوصول إلى نتائج واستنتاجات ووضع التوصيات وإعطاء الحلول كاقتراحات.

خطة البحث:

للإجابة على إشكالية الدراسة والوصول إلى الأهداف المرجوة قمنا بتقسيم البحث إلى أربعة محاور، تطرقنا في المحور الأول إلىالاستثمار في رأس المال البشري ، وفي المحور الثاني تناولنا هجرة الكفاءات والعقول العربية ، أما المحور الثالث فقد تطرقنا إلى بعضالأرقام للكفاءات العربية في الخارج وآثارها على الدول الأصلية ، وفي المحور الرابع والأخير جاء بعنوان :آليات الحفاظ على الكفاءات والعقول العربية (حالة الجزائر).

المحور الأول: الاستثمار في رأس المال البشري

منذ ظهور مفهوم المنظمة دائمة التعلم تتجه معظم المنظمات على المستوى العالم إلى زيادة مهارات ومعارف العاملين بها من أجل مصلحة الفرد والمنظمة معا ولإضافة قيمة لرأس المال الفكري الذي تمتلكه، لذلك فقط تبنت الكثير من المنظمات شعار" البشر هم أكثر الاستثمارات أهمية"، وسنتطرق إلى مختلف المفاهيم التي تتعلق برأس المال البشري:

يمثل العنصر البشري العمود الفقري لعمليات التنمية بأبعادها المختلفة، فهو القادر على التطوير والتجديد والخلق والإبداع ، فالإنسان بفكره و طاقاته يعد أهم العناصر الإنتاجية الفعالة، بل أنه يبقى دائما عصب الإنتاج الرئيسي مهما تقدمت أساليبه الفنية، فهو الذي يملك الطاقة غير المحدودة ، والتي إن أحسن استخدامها و توظيفها وتطويرها من خلال التعليم الواعي و التدريب المستمر تتحقق أعلى معدلات التنمية، وأصبح بمثابة القوة الدافعة في سبيل التقدم والرقي[١].

يعبر عنه بكافة الأفراد العاملين في المنظمة والذين يمتلكون خبرات ومعارف متراكمة، ولديهم مهارات وقدرات إبداعية وإبتكارية، وفي هذا الصدد يضيف Sveiby وهو من روّاد هذا الفكر، أن رأس المال البشري يتمثل في مستوى التعليم، الخبرة، معارف العاملين، روح الابتكار، القيم والتدريب.[٢]

يتمثل رأسمال البشري في المعرفة الضمنية و الخبرات و المهارات الموجودة في داخل عقول الموظفين، و هو يمثل مورد دخل للمنظمة و لكنه ليس ملكا لها[٣].

كما أن الاستثمار في رأس المال البشري يعرف على أنه مجموعة المفاهيم والمعارف والمعلومات من جهة والمهارات والخبرات وعناصر الأداء من جهة ثانية، والاتجاهات والسلوكيات والمثل والقيم من جهة ثالثة، التي يحصل عليها الإنسان عن طريق نظم التعليم والنظامية وغير النظامية، والتي تساهم في تحسين إنتاجيته وبالتالي تزيد من المنافع والفوائد الناجمة عن عمل[٤].

ثانيا:أهمية رأس المال البشري

يعتبر رأس المال البشري في العصر الذي نعيش وهو عصر المعلومات، الثروة الحقيقية للأمم باعتباره أساس الإبداع والابتكار، ومن بين أهم ما يميز رأس المال البشري عن رأس المال المادي كونه غير قابل للتقليد، يتميز بالوفرة لا الندرة لأن العلاقة بين المعرفة والزمن هي علاقة طردية على عكس العلاقة بين المادةوالزمن ويمكن حصر دور الكفاءات البشرية في دعم التنافسية في النقاط التالية[٥]:

- إعداد الكفاءات البشرية المؤهلة والخبيرة ؛
- الكفاءات البشرية هي أساس البحث العلمي وتقنياته؛
- المورد البشري هو أساس الإبداع والابتكار والتي تعتبر أساس التنافسية؛
- العنصر البشري هو أساس الإبداع والابتكار؛
- العنصر البشري هو أساس التنظيم والتنسيق بين مختلف عناصر الإنتاج المادية والبشرية؛
- المشاركة في تحديد احتياجات المجتمع المختلفة وإعداد الخطط اللازمة تبعا لقدراته؛
- المشاركة الفعلية في بناء أمن المجتمع واستقراره من خلال المؤسسات المختلفة.

ثالثا: أبعاد الاستثمار في رأس المال البشري :

جاءت أهمية العناية بتنمية الموارد البشرية من منظور متعدد الأبعاد منها [٦] :

- **البعد الثقافي** : حيث ينعكس تزايد نسبة المثقفين من الموارد البشرية في التنمية الحضارية للمجتمع وزيادة معرفة الفرد وتمسكه بما يخص وطنه من العقائد الدينية والتراث الثقافي واللغة والآداب ، وازدياد درجة الوعي لديه بما يدور حوله
- **البعد الاقتصادي** : من خلال الموارد البشرية المؤهلة والمدربة يتم تنفيذ برامج التنمية الاقتصادية بما يحقق التقدم للدولة ويوفر احتياجات سكانها من السلع والخدمات إضافة إلى أن

الفرد المؤهل تعليما وتدريبا لديه فرصة أكبر للعمل كمواطن منتج يحقق قيمة مضافة تسهم في تنشيط الدورة الاقتصادية

- **البعد الاجتماعي** : فمن المعروف أن التعليم ينمي قدرات الفرد الذهنية والفكرية ويكسبه الأنماط والقيم السلوكية المتوازنة مما يجعله أكثر قدرة على تفهم المشكلات الاجتماعية وترسيخ الروابط الأسرية ، إضافة إلى تأثيره الملموس في شعور الإنسان بالذات

- **البعد العلمي** : حيث يوفر التعليم الكوادر العلمية القادرة على البحث والابتكار والاختراع والتطوير بما يسهم في إحداث النقلات الحضارية المختلفة وإحداث التقدم التقني في شتى مجالات الحياة والتحسين المستمر في وسائل المعيشة

- **البعد الأمني** : حيث تؤدي العناية بتعليم وتدريب الفرد إلى تخفيض نسبة البطالة والتي تتناقص مع ارتفاع المستوى التعليم والتدريبي مما يسهم في تحقيق الاستقرار الأمني للمجتمع ، إضافة إلى قناعة الأفراد أنفسهم بضرورة وجود هذا الاستقرار

رابعا: محددات الاستثمار في رأس المال البشري :

ترتبط عملية تنمية الموارد البشرية بجانبين متلازمين ومتكاملين أولهما يختص باكتساب العلم والمعرفة والمهارة مشكلا جانب التأهيل ، وثانيهما يتعلق بقضايا العمل والتوظيف ، وهذان الجانبان هما الأساس في تكوين محددات الاستثمار في رأس المال البشري وهي[٧] :

- **التخطيط** : ويعني بوضع الأسس اللازمة لبناء الإنسان وتحديد احتياجاته من المهارة والمعرفة العلمية والثقافية والمهنية وغيرها والطرق والوسائل الفعالة لتوفير تلك الاحتياجات عبر مراحل زمنية محددة

- **التنمية** : يشكل هذا العنصر الإطار التنظيمي والتنفيذي لتحقيق أهداف محور التخطيط وإنجاز برامجه حيث يتم من خلاله توفير المؤسسات التعليمية والتدريبية للقيام بخطوات تنمية الموارد البشرية شاملة تنمية القدرات الثقافية والفكرية والمهارات العملية لدى الفرد لتأهيله لممارسة مسؤولياته كمواطن منتج

- **التوظيف** : ويتم من خلاله إتاحة فرص العمل للقوى البشرية التي تم تنميتها وتأهيلها من خلال برامج التعليم والتدريب بما يمكن من استغلال القدرات والمهارات التي اكتسبتها في إنتاج السلع وتقديم الخدمات للمجتمع والإسهام في توفير احتياجاته

خامسا: فعالية الاستثمار في التعليم

- **الاستثمار في التعليم:**

ظهرت هذه الفكرة في منتصف القرن العشرين، حيث كان ينظر لقطاع التعليم من قبل نظرة المستهلك الذي يستهلك أموال دافعوا الضرائب دون الحصول على مقابل. يعود هذا كما ذكرنا سابقا إلى عدم الاهتمام بقطاع التعليم خصوصا قبل الحرب العالمية الثانية ، لكن بعدها توجهت معظم الدول إلى هذا القطاع لسببين أساسي[٨]:

١- حيوية هذا القطاع و أهميته في النمو الاقتصادي.

٢- رغبة الدول في النهوض بالاقتصاديات المدمّرة جراء الحرب.

تّمت مراجعة دور قطاع التعليم في مختلف جوانب الحياة وما يمكن أن يحدثه من نمو في جميع هذه الجوانب، فانطلقت هذه الدول في التركيز على هذا القطاع وخصصت له موارد مالية مهمة لتتمكن من تكوين يد عاملة مؤهلة وقوة بشرية كفأه . و لتوضيح فكرة الاستثمار في التعليم نقوم بتقسيم هذا المطلب إلى ثلاثة فروع : الفرع الأول يخص جدوى الاستثمار في التعليم ، الفرع الثاني تكاليف التعليم و عوائده، الفرع الثالث مؤشرات زيادة الإنفاق على الاستثمار في التعليم .

-جدوى الاستثمار في التعليم:

يعتبر التطور التقني والعلمي من الأسباب الأساسية التي أدت إلى اعتبار قطاع التعليم قطاعا منتجا، خصوصا إذا علمنا أن معظم التكنولوجيات الجديدة وكذا التقنيات الحديثة مخترعوها هم مخرجات التعليم. ولكي نطبّق هذه التكنولوجيات والتقنيات يلزمنا أناس مهرة أو أناس قادرون فكريا وعقليا على استيعابها. ولهذا تلجأ معظم الدول كي تواكب الحضارة التكنولوجية إلى تكوين باحثين وطلبة قادرين على القيام بهذه المهمة وهذا عن طريق الاستثمار في قطاع التعليم، حيث تزايد الاهتمام باقتصاديات التعليم عامة والتعليم العالي خاصة منذ بداية النصف الثاني من القرن العشرين . لقد بدأ الاقتصاديون في إيجاد علاقات بين الإنفاق على الاستثمار في التعليم ومعدلات النمو الاقتصادي، ويعتبرون أن الإنفاق على التعليم هو نوع من الإنفاق الاستثماري خصوصا في هذه الفترة أين أوضح التعليم قدرته على تلبية- تقريبا- كل رغبات المجتمع.ويترتب على هذا الإنفاق ارتفاع في مهارات وقدرات الأفراد ومن ثم زيادة مردودية هؤلاء الأفراد وكذا إنتاجيتهم وهذا ما يدفع بعجلة النمو إلى الأمام.

أكد علماء المستقبليات أن القرن ال 21 سيكون العنصر الحاكم والفعّال فيه هو الإنسان المتعلم والقادر على أن يستمر متعلما ومتعدد المهارات وأن المعرفة قوة ، من ثم فالأمة القوية

هي الأمة العارفة.أما الأمة التي ستتخلف عن استثمار مواردها البشرية فستبقى في خطر خصوصا إذا علمنا أن السرعة التي تتغير بها التكنولوجيا تكاد تكون تقريبا يومية. وإذا علمنا أن حوالي 1200 مجلة علمية تصدر كل شهر بمعدل20 % من الاختراعات الجديدة ، فهذا يجعل من الأمم البطيئة جاهلة لأنها لن تستطيع مواكبة التطورات العلمية.إذن أساس الاستثمار في التعليم هو أن هذا القطاع يعتبر نقطة تقاطع القطاعات الأخرى، لأنّ فعاليته ستؤدي إلى زيادة فعاليات القطاعات الأخرى، حيث أكّدت عشرات الدراسات والبحوث على الوظيفة الاقتصادية للتعليم ودوره في التنمية الشاملة والنمو الاقتصادي أن حجم الاستثمار في هذا القطاع الحيوي يؤثر بصفة مباشرة وغير مباشرة على فعالية الاستثمارات في القطاعات الأخرى، ومن هنا يجب اعتبار الاستثمارات التعليمية استثمارات إنتاجية وليست استهلاكية.

المحور الثاني :

المحور الثاني: هجرة الكفاءات والعقول العربية

أولا: نشأة وأساس ظاهرة هجرة الكفاءات .

تعتبر هجرة العقول والكفاءات العلمية والفنية من أقدم المسائل التي واجهتها البشرية. وقد خلقت هذه الهجرات تفاعلا خلاقا بين الحضارات منذ القدم حيث انتقلت بعض اختراعات الصين إلى العرب وبعد أن قام العرب بتحسينها انتقلت بدورها إلى أوروبا وهكذا. غير أن هجرة العلماء والفنيين من الوطن العربي إلى الدول المتقدمة لا تقاس بهذا المقياس حيث تؤدى تلك الهجرات إلى البطء الشديد في عمليات التطوير العلمي والتحديث الاقتصادي والاجتماعي والتي يطلق عليها بعض الباحثين مصطلح النقل المعاكس للتكنولوجيا وعلى هذا الأساس سنلقي نظرة مختصرة عن بداية ونشأة هذه الظاهرة[٩]:

إن أهم الهجرات الإنسانية القديمة التي تركزت حول مفهوم هجرة الكفاءات العلمية هو ماحدث في الفترة مابين ٦٠٠ ق.م – ٣٠٠ ق.م عندما هاجر الفلاسفة اليونان من بلادهم قاصدين اثينا. وكانت نتيجة تلك الهجرة هو ازدهار اثينا ورقي علومها. وفي فترة حكم الإغريق لمصر كذلك اتجهت الكفاءات العلمية الى مصر فقد عمل البطالسة في مصر إلى إنشاء مراكز البحث العلمي المتطورة وقد تمخض عن ذلك الانجاز عن بناء اكبر مكتبة علمية عرفها العالم حيث قدر عدد المؤلفات والمخطوطات والمجلدات التي كانت تسكنها ما بين (٥٠٠ – ٧٠٠) ألف كتاب ومجلد. وقد قيل أن أعظم نتاج الإنسانية الفكري تم في السنوات ما بين ٣٠٠ ق.م و ٥٠٠ ق.م في الإسكندرية.

وكما كان لبغداد مدينة السلام نصيبا طيبا في تبني سياسة استقطاب العلماء والمفكرين في زمن العباسيين حيث أخذت توجهاتهم واهتماماتهم إلى رفع شأن العلماء والمفكرين دون تمييز جغرافي أو مذهبي او عرقي وبهذا تمكنوا من وضع إلية ناجعة إلى استقطاب المفكرين والعلماء من مختلف بقاع الأرض إلى مدينة بغداد والاستقرار فيها.

أن تاريخ الحضارة العربية يشير باعتزاز إلى ماقدمه المفكرون العرب وغير العرب في تقدم وازدهار الحضارة الإنسانية بكل مشاربها العلمية والثقافية. وان كان العرب قد اخذوا عن اليونانيين أسس بدء نهضتهم العلمية فأن الأوربيين مدينون للحضارة العربية ونهضتها العلمية في بدء نهضتهم.

مع نهاية القرن الحادي عشر وبداية القرن الثاني عشر فقد بلغت عدد الجامعات العلمية المتخصصة في أوروبا إلى مايقارب ال (٨٠) جامعة في نهاية القرن الخامس عشر. وبعد قيام الثورة الصناعية وانتشارها أدت إلى تنشيط حركة الهجرة بين فئة العلماء والمثقفين وكما كانت سببا مباشرا في حدوث هجرة عالمية واسعة النطاق شملت معظم بقاع العالم طلبا في الاطلاع والمعرفة والتعلم .

وبدأت ظاهرة هجرة العقول العربية بشكل محدد منذ القرن التاسع عشر، وبخاصة من سوريا ولبنان والجزائر حيث اتجهت الكفاءات العلمية السورية واللبنانية إلى فرنسا ودول أمريكا اللاتينية فيما اتجهت الهجرة من الجزائر إلى فرنسا. وفي بداية القرن العشرين ازدادت هذه الهجرة، لا سيما خلال الحربين العالميتين الأولى والثانية وفي السنوات الخمسين الأخيرة هاجر من الوطن العربي مابين(٢٥-٥٠%) من حجم الكفاءات العربية[١٠].

ثانيا: مفهوم هجرة الكفاءات

تناولت الدراسات هذه الظاهرة منذ مطلع الستينات للقرن الماضي بمسميات مختلفة منها: هجرة الأدمغة استنزاف الكفاءات، النقل المعاكس للتكنولوجيا. وقد ابتدعه البريطانيون للتعبير عن فقدانهم الكثير من المهندسين والعلماء والأطباء بسبب هجرتهم إلى الولايات المتحدة الأمريكية. وقد تعددت التعريفات الخاصة بهذا المصطلح من قبل الهيئات العالمية والمختصين، بغية إعطاءه القدر الكافي من الوضوح، وفي مايلي بعض التعريفات:

يعرف **إلياس زين** هجرة الكفاءات" بأنها نزوح حملة الشهادات الجامعية العلمية والتقنية والفنية، كالأطباء والعلماء والمهندسين والتكنولوجيين والباحثين والممرضات والاختصاصيات وكذا الاختصاصيين في علوم الاقتصاد والرياضيات والاجتماع وعلم النفس والتربية والتعليم

والآداب والفنون والفنيون والزراعة والكيمياء والجيولوجيا، ويمكن ان يشمل هذا التحديد الفنانين والشعراء والكتاب والمؤرخين والسياسيين والمحامين وأصحاب المهارات والمواهب والمخترعين وشتى الميادين الأخرى، أي أصحاب الكفاءات والمهارات الجامعية العلمية والتقنية[١١].

تعريف منظمة اليونسكو:'' شكل من أشكال التعاون التبادل العلمي الشاذ أو غير السليم بين الدول، حيث يتميز بتدفق هجرة العلماء في اتجاه واحد نحو الدول المتقدمة[١٢].

كما يعرفها الاتحاد البرلماني العربي: "بأن هجرة العقول العربية هي فعلا نقل مباشر لأحد أهم عناصر الإنتاج، وهو العنصر البشري[١٣].

ثالثا: أنماط هجرة الكفاءات

هناك نمطين هما:

- **الهجرة الخارجية للكفاءات:** تشمل انتقال الكفاءات خارج الحدود الجغرافية لبلدانهم الأصلية وهو النمط الأكثر شيوعا بين الدول وتنقسم إلى:

- **النمط التبادلي للكفاءات:**يتمثل في تبادل الأفراد ذوي المهارات والكفاءات ما بين الدول، وعادة ما تكون هذا النوع من التبادل بين الدول المتقدمة قصد التكامل المعرفي من جهة ثم العمل المشترك في مشاريع بحثية تحقيقا للمصلحة المشتركة في المجال المعرفي والمعلوماتي.

- **النمط الإستنزافي للكفاءات:** وهو السائد بين الدول النامية والدول المتقدمة، حيث تأخذ الهجرة بهذا المفهوم اتجاه واحد من المناطق الأقل نموا والأكثر فقرا إلى نظيرتها من الدول الأكثر نموا وتقدما، ومنه تكون المنفعة القصوى لصالح هذه الأخيرة.

البحث العلمي: وتشمل الطلبة والباحثين من ذوي الشهادات العالية(دكتوراه وماجستير).

التعليم: حيث يسعى الكثير من الطلبة إلى إتمام مشوارهم العلمي بدول الشمال سواء من اجل تنمية كفاءاتهم في اختصاص معين أو سعيا وراء الشهادات العالية، وغالبا ما تكون نحو الدول التي تمثل مستعمرات سابقة لدولهم وذلك لقابلية الاندماج اللغوي والثقافي.

الصحة: إن هجرة الأطباء والكفاءات المتخصصة في هذا المجال يعد ملفتا للانتباه، حيث تفيد التقارير أن ٦٠ %من الأطباء المكونين محليا في إفريقيا قد غادروا باتجاه دول الشمال خلال الثمانينات، وهو ما يجعل توزيع عدد الأطباء بالنسبة للكثافة السكانية منخفض جدا.

التريف الداخلي للكفاءات: يتعلق هذا النمط بمحدودية نشاط الكفاءات داخل أوطانهم، نتيجة ميلهم إلى اقتصار أبحاثهم على المعرفة في حد ذاتها دون أن تتعدى ذلك إلى تنمية مجتمعاتهم، وقد كون الهدف من نشاطهم الحصول على امتيازات شخصية محدودة أو نتيجة لتهميشهم من طرف الأنظمة القائمة وبالتالي عزلتهم وابتعادهم عن ميدان البحث العلمي[١٤].

رابعا: العوامل الدافعة لهجرة العقول العربية

العوامل الداخلية: يمكن تحديد أهم هذه الدوافع بالآتي: [١٥]

.1ضعف المردود المادي لأصحاب الكفاءات العلمية ، وانخفاض مستوى المعاش لهم وعدم توفير الظروف المادية والاجتماعية التي تؤمن المستوى المناسب لهم للعيش في المجتمعات العربية.

.2وجود بعض القوانين والتشريعات والتعهدات والكفلالات المالية التي تربك أصحاب الخبرات ، فضلا عن البيروقراطية والفساد الإداري وتضييق الحريات على العقول العلمية المبدعة ، والتي تبدأ من دخولهم البوابات الحدودية لدولهم وصولا لأصغر موظف استعلامات في الدوائر الرسمية ، مما يولد لديهم ما يسمى بالشعور بالغبن.

3عدم الاستقرار السياسي أو الاجتماعي والإشكاليات التي تعتري بعض تجارب الديمقراطية العربية ، والتي تؤدي في بعض الأحيان إلى شعور بعض أصحاب الخبرات بالغربة في أوطانهم ، أو تضطرهم إلى الهجرة سعياً وراء ظروف أكثر حرية وأكثر استقراراً

4سفر أعداد من الطلاب إلى الخارج ، أما لأنهم موهوبون ، بشكل غير اعتيادي ويمكنهم الحصول على منح دراسية أو لأنهم من عائلات غنية ، وبالنتيجة يندفعون إلى التوائم مع أسلوب الحياة الأجنبية وطرقها حتى يستقروا في الدول التي درسوا فيها.

العوامل الخارجية: تتمثل في المؤثرات التي تفرزها البيئة الخارجية(الدول المستقبلة) التي من شأنها الزيادة بشكل أو بآخر في نسبة الكفاءات التي تستقبلها هذه الدول عن طريق الهجرة من الدول الأقل نمو وبصفة أخص من دول الجنوب، ونذكر منها[١٦]:

-سياسات الهجرة الانتقائية للدول المستقبلة للكفاءات والتي تسعى من خلاله إلى البحث عن الطرق التي تسمح لهم باختيار الأشخاص ذوي المهارات والقادرين على الهجرة، من خلال وضع مجموعة من المؤشرات الدالة على الكفاءات التي تسمح بإعطاء الأفضلية لشخص دون آخر؛

-سعي الدول المتقدمة إلى تجسيد مجتمع المعرفة لتصبح بيئة علمية جاذبة لمختلف الكفاءات من الدول النامية؛

-التسهيلات الممنوحة للكفاءات الأجنبية للإقامة الدائمة بالدول المتقدمة عملا أساسيا في استقطابها؛

-منح الجنسية للكفاءات التي تعطيهم امتياز الانتماء والمساواة؛

-تفعيل نظام الحوافز والرواتب في الدول المستقبلة والامتيازات التي يتمتع بها الإطار العلمي في هذه المجتمعات؛

-عولمة الرأسمالية فقد لعبت دورا وعاملا قويا في تفاقم ظاهرة هجرة الكفاءات من الدول النامية خاصة الإفريقية منها.

كذلك هناك عوامل أخرى نذكر منها:

-الاستقرار السياسي والتقدم الحضاري كفيل بتوفير الأجواء الملائمة لتطور الكفاءات العلمية من إمكانياتها العلمية؛

-توفر إمكانيات البحث العلمي بلا حدود مع وجود آليات التنظيم الدقيقة في العمل. أي حصر عامل الهدر في زمن العمل إلى ابعد ما يمكن الوصول إليه؛

-انفتاح المجتمعات المتقدمة على العلم والعلماء. وبالتالي يعطي هذا الانفتاح شعورا ايجابيا لدى الكفاءات العلمية بان تحقق ذاتها وطموحاتها العلمية.

المحور الثالث: أرقام الكفاءات العربية في الخارج وآثارها على الدول الأصلية

أولاً: تصنيف الدول النامية من حيث عناصر الإنتاج

ينظر المفكرون للعنصر البشري بأنه يشكل المادة الرمادية لتقدم الدول وعلى هذا الأساس فمستقبل الدول مقرون بمدى امتلاكها وحفاظها على هذه المادة. ولقد صنف مستقبل الدول وأهميتها على ضوء القدرات الرمادية (العقلية) المتوفرة لديها والتي يمكن أن تتوفر على النحو التالي:

دول المرتبة الأولى: هي تلك الدول التي تمتلك ثروات باطنية وأخرى رمادية، فهذه الدول لا خوف عليها ولا وجل حاضراً ومستقبلاً ولديها مستقبل باهر.

دول المرتبة الثانية: هي تلك الدول التي تمتلك قدرات رمادية كبيرة أو التي يمكن أن تمتلكها مستقبلا وبرغم من أنها لا تمتلك ثروات باطنية كبيرة، لكن يبقى لها مستقبل موعود.

دول المرتبة الثالثة: هي تلك الدول التي تمتلك ثروات باطنية ولكنها فقيرة في ثرواتها الرمادية فحاضرها براق ولكن مستقبلها صعب إذا لم تستطيع تأمين الثروات الباطنية المطلوبة.

دول المرتبة الرابعة: هي تلك الدول التي لا تمتلك ثروات باطنية ولا أخرى رمادية، فإن حياتها مهددة حاضراً ومستقبلاً وستكون أوضاعها قاسية كما هو متوقع[17].

ثانيا: مساهمة الدول النامية في هجرة الكفاءات في العالم

تشير لإحصائيات المأخوذة من الدراسات التي قامت بها جامعة الدول العربية، ومنظمة العمل العربية، ومنظمة اليونيسكو، وبعض المنظمات الدولية والإقليمية المهتمة إلى الحقائق التالية:

-يسهم الوطن العربي في ثلث هجرة الكفاءات من البلدان النامية؛

-إن ٥٠ %من الأطباء و٢٣ %من المهندسين و١٥% من العلماء من مجموع الكفاءات العربية المتخرجة يهاجرون متوجهين إلى أوروبا، والولايات المتحدة، وكند بوجه خاص.

-إن ٥٤% من الطلاب العرب الذين يدرسون في الخارج لا يعودون إلى بلدانهم؛

-يشكل الأطباء العرب العاملون في بريطانيا حوالي ٣٤ %من مجموع الأطباء العاملين فيها؛

-إن ثلاث دول غربية غنية هي الولايات المتحدة وكندا وبريطانيا تصطاد ٧٥% من المهاجرين العرب، حيث تجتذب هذه الدول الثلاث نحو ٧٥% من العقول العربية المهاجرة.

❖ وقد اختلفت هجرة الكفاءات بنسب مختلفة حسب الدول كما يوضحها الجدول التالي:

الدولة	النسبة%	الدولة	النسبة %
لبنان	٨٣.٦	- لبنان	٨٣.٦
تونس	١٢.٥	- تونس	١٢.٥
العراق	١١.١	- الجزائر	٩.٤
جيبوتي	١١.١	- الأردن	٧.٢
سوريا	٦.٥	- فلسطين	٧.٢

المصدر: التقرير الإقليمي للهجرة الدولية العربية والتنمية ٢٠١٤ ، ص٥٥.

❖ **هجرة الأطباء من الدول العربية:**

الدول	العراق	مصر	جيبوتي	البحرين	الجزائر	موريطانيا	ليبيا	لبنان
الأطباء المهاجرون	٢٨٧١	٧٧٩١	٢٦	٢٩	١٠٦٨٠	٤٣	٨٠٠	٣٠٤٢
الأطباء	١٨.٤	٥.٤	٢٣.٢	٢.٨	٤٤.٣	١١.٤	١٠.٦	١٩

المكونين في البلاد% الدولة	الكويت	الأردن	اليمن	فلسطين	الامرات المتحدة	المغرب	تونس	سورية
الأطباء المهاجرون	١٢٢	٨٧٨	٤٧	١٥	٢٥٨	٦٥٤	٢٢٢	٣٩٦٦
الأطباء المكونين في البلاد%	٣.٤	٨.٢	١.٣	٠.٧	٣.٢	٤.٧	٣.٢	١٥.٤

الدولة	السودان	الصومال	السعودية	عمان
الأطباء المهاجرون	١٠٨٣	٩٨	٣٥٩	١٢
الأطباء المكونين في البلاد	١٧.٩	٢١.٩	١.٢	٠.٤

المصدر: التقرير الإقليمي للهجرة الدولية العربية الهجرة الدولية والتنمية ٢٠١٤ ، ص ٥٦.

ثالثا: الآثار السلبية لهجرةالعقول العربية إلى البلدان الغربية

لا تقتصر تلك الآثار على واقع ومستقبل التنمية الاقتصادية والاجتماعيةالعربية فحسب ولكنها تمتد أيضاً إلى التعليم وبنيته في العالم العربي وإمكانات توظيفخريجيه في بناء وتطوير قاعدة تقنية عربية. ومن أهم تلك الآثار السلبية لهجرة العقول[١٨]:

–ضياع الجهود والطاقات الإنتاجية والعلمية لهذه العقول التي تصب في شرايينالغرب بينما تحتاج التنمية العربية لمثل هذه العقول في مجالات الاقتصاد والتعليموالصحة والتخطيط والبحث العلمي؛

–تبديد الموارد الإنسانية والماليةالعربية التي أنفقت في تعليم وتدريب الكفاءات التي تحصل عليها البلدان الغربية دونمقابل ؛

–تدهور ألبحث العلمي في البلدان العربيةبالمقارنة مع الإنتاج العلمي للعرب المهاجرين في الغرب؛

–تحمل البلدان العربية بسبب تلك الأنواع من الهجرات خسارة مزدوجة لضياع ما أنفقته منأموال وجهود في تعليم وإعداد الكفاءات العربية المهاجرة ومواجهة نقص الكفاءات وسوءاستغلالها والإفادة منها عن طريق استيراد العقول الغربية بتكلفة كبيرة وبهذا تكون حجم الخسائر التي تتحملها الدول الطاردة مضاعفة ومزدوجة.

تساهم البلدان العربية في طرد علماءها ومفكريها من خلال عدم تغيير الأوضاع القائمة للقطاع التعليمي كإنشاء الجامعات ومراكز الأبحاث وتخصيص الأموال للبحث العلمي والفكري وكذلك عدم تأمين العمل والحريات الضرورية. فضلا عن اضطهاد العلماء وقد لاتكتفي بعض

البلدان العربية بعدم توفير الظروف والأوضاع الضرورية للحد من الهجرة بل إنها لا تسمح لمن يصرون على البقاء في ممارسة البحث العلمي والفكري الحر دون تدخلات مباشرة تصل إلى درجة تحديد وجهة البحث العلمي ومساره وقد تبيّن من أبحاث ندوة (أكوا) حول هجرة الكفاءات العربية عام ١٩٨١م أن كليات الطب في الجامعات العربية والجامعات الأجنبية في البلدان العربية كلبنان مثلا تهيّئ خريجيها للهجرة أكثر مما تهيّئهم للعمل في الوطن وما قيل عن الطب يمكن أن يقال عن الهندسة والعلوم الطبيعية والاجتماعية[١٩].

❖ ومن خلال ما سبق يمكن توضيح الآثار الإيجابية والسلبية في الجدول التالي:

الآثار الإيجابية	الآثار السلبية
- زيادة رصيد رأس المال البشري محليا وانتقال المهارات وزيادة قنوات الاتصال مع الخارج مع عودة العمالة المهارة المهاجرة. - تدفق التحويلات المالية والعملات الصعبة إلى الدول المصدرة. - حفز الاستثمار في التعليم في الدول المصدرة واستثمارت الأفراد في تكوين رأس المال البشري. - نقل التكنولوجيا والاستثمارات عن طريق المهاجرين في الشتات المتواصلين مع اوطانهم. وخصوصا أن تكنولوجيا الاتصالات والمعلومات تمكن الدول المصدرة من الاستفادة من المهاجرين في الشتات. - إتاحة فرص مجزية للعمالة المتعلمة غير متاحة في أوطانها.	- انخفاض صاف في رصيد رأس المال البشري للدولة المصدرة، وبخاصة عند هجرة ذوي الخبرة المهنية العالية. - احتمال تعرض التحويلات المالية للعمالة الماهرة إلى التناقص أو التوقف التدريجي بعد فترة زمنية معينة. - حدوث قدر أكبر من استنزاف العقول عند حصول الطلاب على تعليمهم على نفقة الدولة في أوطانهم أو تلقيهم التعليم في الخارج من مواردهم الخاصة. - انخفاض النمو والإنتاجية نتيجة انخفاض رصيد رأس المال البشري. - تكبد خسائر مالية نتيجة انخفاض رصيد رأس المال البشري. - تكبد خسائر مالية نتيجة الاستثمارات الكبيرة في دعم التعليم. - انخفاض جودة الخدمات الأساسية الصحية والتعلمية. - انخفاض جودة الخدمات الأساسية الصحية والتعليمية. - تزايد التباينات في الدخول في البلد الأصلي.

piyasiriWickramasekara, « policyResponses to skilled Migration : Return and Circulation »,perspectives on labour Migration(International Labour Office), vol . 5 E(2003), p 11. **المصدر:**

المحور الرابع: آليات الحفاظ على الكفاءات والعقول العربية (حالة الجزائر)

أولا: محاولات الدول العربية لإعادة العقول العربية المهاجرة

حاولت بعض الدول العربية تقديم إغراءات معينة وحوافز لعودة الكفاءات العلمية من خلال سن القوانين التي تمنح العائدين عددا من المزايا المالية ، وأهم هذه القوانين إصدار العراق لقانون عودة ذوى الكفاءات العلمية إلى الوطن رقم (١٨٩) لعام ١٩٧٢ ، ثم قرار مجلس قيادة الثورة رقم (٩) الذي أعقبه القانون الشامل رقم (١٥٤) لعام ١٩٧٤ لرعاية أصحاب الكفاءات . وقد منح هذا القانون والروافد التشريعية الأخرى المكملة له للعرب حق التمتع بالجنسية العراقية وحرية الإقامة والعمل فى العراق ، ومنح العائدين من ذوى الكفاءات العلمية منحا وقروضا وأراضى بناء وإعفاءات جمركية على الأثاث والسيارات .

وحاولت كل من ليبيا والكويت توفير مراكز بحوث علمية لجذب عدد من العلماء العرب بالخارج ، حيث أدت جهود الكويت إلى إنشاء معهد للبحوث العلمية استقطب عددا محدودا من الكفاءات العلمية المهاجرة ، أما في ليبيا فقد تم إنشاء معهد الإنماء العربي في كل من طرابلس وبيروت استقطبا عددا من الباحثين العرب بينهم عدد محدود من المهاجرين .

ومن ثم فإن الجهود المتعددة للدول العربية لإعادة الكفاءات العلمية تبدأ فى الأساس من تغيير البنية الأساسية الفكرية وتطويرها حتى تكون بيئة علمية صالحة لجذب العقول الفكرية العربية المهاجرة إلى بلادها من أجل الاستفادة من مهاراتهم وعقولهم.

ثانيا: المجهودات العربية لوقف نزيف العقول العربية

إن الخطورة التيتشكلها هجرة العقول العربية على المخططات التنموية العربية بصورة خاصة تتطلب إيجادحلول للحد من هذه الظاهرة تمهيدا لوقفها. والحل الأمثل هو في وضع إستراتيجية عربيةمتكاملة للتصدي لهذه المشكلة . وينبغي أن تشارك في وضع هذه الإستراتيجية كل منجامعة الدول العربية ، ومنظمة العمل العربية ، والمجلس الاقتصادي والاجتماعي العربي، والمنظمات العربية غير الحكومية المهتمة بهذا الموضوع ، مع الاستفادة من خبراتمنظمة اليونسكو ومنظمة العمل الدولية التي تملك خبرات ودراسات جادة حول هذهالمشكلة وفي هذا الإطار يمكن التطرق إلى بعض هذه الآليات التي استطاعت أن تحقق بعض النجاح على المستوى القطري في بعض الدول المغاربية:

- **برنامج توكتان (TOKTEN)**

هو برنامج لهيئة الأمم المتحدة للتنمية يهدف إلى تخفيف من الآثار السلبية هجرة الكفاءات وهو آلية تهدف إلى نقل المعرفة عن طريق الكفاءات المهاجرة اعتمادا على وجود قاعدة بيانات متجددة عن الخبرات والكفاءات المهاجرة حسب الدول المرسلة والمستقبلة وبعض الخصائص الهامة، ويقوم بتلبية احتياجات الدول المرسلة من تلك الكفاءات من خلال تنظيم زيارات استشارية قصيرة على أساس تطوعي لتدبم الدعم الفني والعلمي في وطنهم الأم، ويختص هذا البرنامج بميزات متعددة مثل اللغة والتقاليد والثقافة المتبادلة وانخفاض التكلفة حيث يمنح الخبراء قيمة تذاكر السفر وتكلفة الإقامة فقط ويتواجد هذا البرنامج في ٤٩ دولة تستقدم مغتربيها الأكفاء لتقديم الدعم العلمي والفني في وطنهم الأم، من بينها: المغرب، الجزائر، السودان لبنان وفلسطين يتم توقيعه مع **PNUD** من على وزارة الخارجية للدول المعنية من أجل إعداد لقاءات مع كفاءتها المهاجرين برعاية هيئة الأمم المتحدة.[٢٠]

٢ مبادرة فنكوم (FINCOM)

ويعني المنتدى الدولي للكفاءات المغربية في الخارج، ويعتبر هذا المنتدى ثمرة الحكومة المغربية بشكل مستقل ولا وصاية للمنظمات الدولية عليه، تم تفعيله في ٢٠أفريل ٢٠٠٤ من قبل لجنة مكونة من وزارة التعليم العالي والوزارة المنتدبة للجالية المغربية بالخارج.

٣ الملتقيات الجامعية

وهي تجمعات لمختلف الكفاءات من الجامعيين على الخصوص المقيمين والمهاجرين خارج الوطن على حد سواء، تقام على هامشها ملتقيات علمية تناقش القضايا الوطنية يتم الاستفادة من خلالها من مساهمات الأساتذة والباحثين المهاجرين والتابعين لمراكز الأبحاث المتقدمة في الدول المتقدمة لتصبح بذلك آلية من آليات نقل المعرفة، وفرصة للقاءات بين الباحثين من داخل وخارج الوطن، وفي هذا المقام نذكر لقاءات الجامعة الخريفية بالمغرب من ٢٠ إلى ٢١ نوفمبر ٢٠٠٩ جمعت على الخصوص الكفاءات المغربية الألمانية شارك فيها ٣٠٠ باحث منهم ١٥٠ مقيمين بألمانيا.

ثالثا : أساليب الحفاظ على الكفاءات الجزائرية

أولاً:تتمثل أولى محاولة الجزائر الرسمية والجادة في مبادرة وزارة التعليم العالي والبحث العلمي التي قامت بإعداد قائمة للكفاءات الوطنية المحلية والتي تعيش في مختلف البلدان. ولقد كان ذلك أخذا بإحدى توصيات التي خرج بها المنتدى الأول للعلميين الجزائريين الذي انعقد في شهر أوت من عام ١٩٩٤، غير أنه وبعد ١٠ سنوات من ذلك تظل قاعدة البيانات الإلكترونية

المكونة فاقدة لكثير من الكفاءات لأسباب مختلفة، منها خاصة انقطاع المتابعة بعد تغيير الحكومة التي دعمت وشهرت بالمنتدى وكذلك ضعف مستوى المشاركة والتعبئة على المستويين الداخلي والخارجي[٢١].

كذلك على هامش لقاءات الجامعة الصيفية، عقد في جوان ٢٠١١ الملتقى الوطني للكفاءات المقيمة بالخارج حضره أكثر من ١٢٠ باحث من داخل وخارج الوطن، في محاولة تهدف إلى تبادل المعلومات.

إن أهم ما يمكن استخلاصه من تجربة الجزائر هذه أن الخطوة أو المبادرة السياسية تضحى مجرد إشهار عندما يكون تجسيد أبسط الأشياء على أرض الواقع غير محققا. على أرض الواقع هذا هناك فعلا تأخر كبير في تثبيت الهياكل والأنظمة الأكاديمية والبحثية وكذا تشغيلها حقيقة لفائدة الاقتصاد والمجتمع الجزائري. فبالإضافة إلى محدودية الفائدة من قاعدة البيانات المتوفرة، هناك قصور كبير في فاعلية وفعالية مراكز المعلومات، سواء الوطنية أو المؤسساتية، حيث أن أغلبها فقيرة في مخرجاتها الإعلامية.

ثانياً: الإصلاحات الجزائرية للحفاظ على كفاءاتها

❖ إصلاح النظام التربوي الجزائري

يتمثل في عملية إعداد النشء وتربيته وتأهيل الأفراد للقيام بدورهم، شاعرين بانتمائهم إلى جماعة معينة وكيان يمثل أمة بين الأمم الأخرى في بناء صرح الإنسانية، والجزائر أمة تسعى إلى الارتقاء بمنظومتها التربوية إلى مستوى يحفظ للوطن توازنه واستقراره ويضمن تطوره، ومن أجل تحقيق ذلك جاءت فكرة الإصلاح والتعديل مرتبطة بحاجات المجتمع، ومدى اتساع دائرة الحاجات على مدى العصور والأزمنة، ومن بين هذه الحاجات التواصل بين مخرجات النظام التربوي وماتتطلبه عملية التنمية بمختلف مستوياتها. والجزائر تركز على هذا الإصلاح باعتبار أن الإصلاح التربوي:" عملية تخطيطية وتطبيقية لإستراتجية محددة، وهي من الناحية الإجرائية مجموعة من التصورات والمبادئ المقررة لخطوات العمل المحددة، التي يتوقع منها تحقيق أهداف الخطة الإصلاحية بكيفية جيدة وبصورة دائمة تقضي على المشكلات المتأزمة في المجتمع[٢٢].

❖ مشروع إصلاح المنظومة التربوية في الجزائر

لقد كانت بداية التفكير في إصلاح النظام التربوي منذ أن حصلت الجزائر على استقلالها، حيث كانت الدعوة إلى إنشاء مدرسة جزائرية قادرة على تكوين نخبة من الجزائريين لها القدرة

على تسيير مرحلة مابعد الاستعمار، من وثيقة سبتمبر ١٩٦٩(مدخل إصلاح التعليم) إلى غاية سنة ١٩٧٦ بمثابة أول ترجمة حقيقية لإصلاح التعليم في الجزائر[٢٣].

وقد أنشئت اللجنة الوطنية لإصلاح المنظومة التربوية سنة ٢٠٠٠ من أجل تقييم شامل للمنظومة التربوية من أجل التشخيص ومتابعة مراحل الإصلاح التربوي وذلك لدواعي:

–اعتماد التعددية السياسية التي تتطلب إدراج مفهوم الديمقراطية، وتزويد الأجيال القادمة بروح المواطنة.

–التأسيس لاقتصاد السوق بكل الإجراءات الاجتماعية والاقتصادية.

–عولمة الاقتصاد التي خلقت جو التنافس الحاد سواء على المستوى المعرفي أو الاقتصادي، تتطلب تحضير أفراد المجتمع لمواجهة هذا التنافس الذي يميز بداية القرن ٢١.

❖ إصلاح منظومة البحث العلمي

لقد فرضت المتغيرات العالمية بيئة تعليمية سماتها مجتمع المعرفة وأساسها المورد البشري، حيث لم يعد المصدر الحقيقي للثروة يكمن في امتلاك الخامات أو قوة العمل أو الآلات، وإنما في امتلاك قاعدة بشرية مثقفة وعلمية وتكنولوجية. وبذلك أصبح مطلب التقييم والإصلاح لمنظومة التعليم العالي والبحث العلمي في المجتماعات النامية على العموم والجزائر على وجه الخصوص ، من خلال إشراكه في التكفل بمستلزمات التطور المفروضة على الجزائر في ظل التحولات على المستوى الدولي. وهذا الإصلاح من شأنه أن يجعل الجامعة تلعب دورا مركزيا يتمثل من جهة في تطلع المواطنين لا سيما فئة الشباب، نحو بناء مشروع مستقبلي بالاستفادة من تكوين عالي نوعي يمدهم بمؤهلات ضرورية لاندماج أمثل في سوق الشغل، ومن جهة أخرى في تلبية متطلبات القطاع الاجتماعي الاقتصادي الذي يطمح إلى التنافسية والنجاعة وهذا بإمداده بموارد بشرية نوعية قادرة على التجديد والإبداع، مع التكفل بجانب هام في مسعى ازدهار البحث العلمي والتنمية[٢٤].

❖ الاهتمام بالكفاءات الوطنية

تسعى الهيآت الجزائرية إلى تدارك التهميش الذي طال الكفاءات الوطنية خلال حقبة من الزمن، هذه الحقبة كانت كافية لزرع بذرة اليأس، ليجعلوا من هذه الهجرة إلى العالم المتقدم بديلا يمكنهم من تحقيق ما عجزو عنه في وطنهم، فجاء الاهتمام بتثمين دور هذه الكفاءات وأهميتها في التنمية الشاملة، تارة من خلال الخطاب الرسمي بمختلف مستوياته، وتارة أخرى عن طريق القرارات التي تصب في مصلحة الكفاءات الوطنية وتجسد هذا الاهتمام من خلال :

الخطابات الخاصة برئيس الجمهورية عبد العزيز بوتفليقة بافتتاح السنة الجامعية منذ ١٩٩٩، والتي تضمنت تثمين دور البحث العلمي والباحثين، وكان السيد الرئيس صريح في مدى خطورة تنامي ظاهرة هجرة الكفاءات والأدمغة الوطنية، وضرورة القضاء على العوامل المتسببة في استمرارها . من جهة أخرى زاد هذا الاهتمام بعد ١٠ سنوات بمناسبة افتتاح السنة الجامعية ٢٠٠٩- ٢٠١٠ حيث جاء في كلمة السيد الرئيس (إذا كان شعار الدخول الجامعي هذه السنة هو " تثمين نتائج البحث العلمي والتكنولوجي وتشجيع الابتكار من من أجل بحث علمي مفيد، فإن ما ينبغي تأكيده في هذا المقام هو أن البحث العلمي أصبح يشكل في ظل عولمة الاقتصاد والمبادلات واحدا من أهم الموارد، أن لم نقل أهمها على الإطلاق في التنمية الاقتصادية[٢٥].

خاتمة

أصبحت هجرة العقول والكفاءات ظاهرةعامه، على مستوى الوطن العربي ، ومعالجتها تحتاج إلى وقفه جادة، موضوعية وافق شمولي يتلمس تعقيدات الواقع العربي،ولاسيما وان الأشخاص الأكثر تأثرا بهذا العامل هم الأشخاص الأفضل أعداداً والأكثر كفاءة لتسيير أجهزة الإنتاج والتعليم والتدريس في الوطن العربي . مما يتطلب إيجاد سبل علمية لصيغ التعامل الإنساني والحضاري مع الكفاءات العلمية وبحرص وطني، فضلاً عن محاولة وضع إستراتيجية عمل عربية تشارك فيها الحكومات العربية كافة ومؤسسات العمل العربي المشترك وتستهدف،على اقل تقدير، تقليل هجرة العقول العربية وإزالة قسماً من العقبات التي تواجهها،ومن ثم معالجة المشاكل التي تعترض مسيرتها العلمية، ومن خلال هذه الورقة البحثية نقدم مجموعة من التوصيات التي يمكن أن تشكل في مجموعها سياسة اجتماعية للتعامل مع قضية مستقبل العمالة العربية في ظل تحديات النظام العالمي الجديد:

- التربية على المواطنة من خلال إعداد المواطن الصالح الذي يضحي بمصلحته الشخصية مقابل تحقيق المصلحة العامة؛
- الحكم الراشد الذي يجعل من المصلحة العربية الإطار الواسع الذي يحتوي مصالح الأفراد ومن

خلالهم مصالح الكفاءات الوطنية ويجعل من الوطن بيئة جاذبة محفزة لنقل المعارف التكنولوجيا بدل جعله طاردا للعقول والأدمغة؛

- مراجعة سياسات التشغيل في الدول العربية والعمل على إعطاء الأولوية في التشغيل لأبناء الوطن
- وضع خطط شاملة طويلة الأمد ،
- فتح مؤسسات لتدريب العمالة العربية ،
- نشر الوعي، بمختلف وسائل الإعلام ، بأهمية دور التدريب المهني في إعداد الشباب للعمل والعمالة المنتجة .
- مراجعة نظم التعليم والتدريب للوقوف على مدى ملاءمتها مع احتياجات سوق العمل ومستلزماتها المتطورة من المهن والمهارات.
- ضرورة العمل على رفع مستوى مهارة العمالة العربية ، والتركيز على التخصصات والمهن التي تحتاجها أسواق العمل الخارجية ، حتى تصبح لها القدرة على منافسة العمالة الأجنبية الأخرى .
- التخطيط لوضع برنامج محدد هدفه الأساسي كيفية استقطاب العقول العربية المهاجرة .

الاقتراحات

- إجراء مسح شاملللكفاءات العربية المهاجرة.
- إنشاء مراكز للبحوث التنموية والعلمية.
- تكوين الجمعيات والروابط لاستيعابأصحاب الكفاءات المهاجرة من بلدانها ؛
- – إزالة جميع العوائق التي تعيق الكفاءات العربية .
- تنظيم مؤتمرات للمغتربين العرب وطلب مساعدتهم وخبراتهممسواء في ميدان نقل التكنولوجيا أو المشاركة في تنفيذ المشروعات .
- التعاون معالمنظمات العالمية لإقامة مراكز علمية في البلدان العربية لتكوين كوادروكفاءات عربية ،
- جذب العقول العربية المهاجرة للإشراف على المراكز التدريبية وتوفير جميع الظروف لها .

المراجع:

١- منال طلعت محمود، (٢٠٠٣)،"**الموارد البشرية وتنمية المجتمع المحلي**"، المكتب الجامعي الحديث ، الإسكندرية ، ص١٦٦.

٢- محمد السعيد، هاني.(٢٠٠).**رأس المال الفكري، انطلاقة إدارية معاصرة**، القاهرة: دار السحاب للنشر والتوزيع، ص ٣١.

3- Nesbit, T(2001), An Investigation intoCore management skills for keeping E -Commerce on onTrack (Massey University: research Report, Palmerston North,

٤- محمد أليفي، فرعون محمد،(٢٠٠٩)" **الاستثمار في راس المال البشري كمدخل حديث لادارة الموارد البشرية بالمعرفة**"، ورقة مقدمة إلى الملتقى الدولي "" **صنع القرار في المؤسسة الاقتصادية**"، جامعة المسيلة، الجزائر، ١٤_ ١٥ افريل.

5- Jean-Yves Prax, ,(2003")**le guide du knowledge management**", dunod, France,p13.

٦- د. نسرين نصر الدين، موقع تعليمي للدراسات والبحوث العلمية،
http://kenanaonline.com/users/verjenia/posts/24783، تاريخ الاطلاع، 30ديسمبر ٢٠١٤،٢٠:٤٨ .

٧- رابح عرابة،٢٠١١ ماهية رأس المال الفكري والاستثمار في رأس المال البشري، " الملتقى الدولي الخامس حول" رأس المال الفكري في منظمات الأعمال العربية في ظل الاقتصاديات الحديثة"، جامعة الشلف، ص ١٢.

٨- بيكاس سانيال، "**التعليم العالي والنظام الدولي الجديد**"، ترجمة (**محمد الأحمد الرشيد**)، مكتب التربية العربي لدول الخليج، المملكة العربية السعودية، ١٩٨٧، ص ٩٥.

٩- ربيع محمد،'١٩٧٢')هجرة الكفاءات العلمية، جامعة الكويت،.

١٠- فاطمة مانع، خبازي فاطمة الزهراء، مداخلة بعنوان: " هجرة الكفاءات العلمية وآثارها على التنمية الاقتصاديةفي البلدان النامية"، الملتقى الدولي" رأس المال الفكري في منظمات الأعمال العربية في الاقتصاديات الحديثة ، جامعة شلف، ١٣- ١٤ ديسمبر ٢٠١١، ص ٣.

١١- إلياس زين، ١٩٧٢)هجرة الأدمغة العربية، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ، ص ١٣.

١٢- هجرة الكفاءات العربية، ورقة عمل مقدمة إلى"**منتدى الدوحة السادس للديمقراطية و التنمية و التجارة الحرة**"، الدوحة، قطر، ١١-١٣ أبريل ٢٠٠٦.

١٣- الاتحاد البرلماني العربي، مجلة البرلمان العربي، ١٩٨٢، العدد ٢٢_٢٠٠١، ص ٣.

14- Cherin, cheri, Mobilisation des diasporas qualifiées Au profit du développement de leur pays d'origine, étude diagnostique, octobre 2005

١٥- . زبغنيو برنجينسكي ١٩٨٠: بين عصرين أميركا والعصر التكنوالكتروني ، ترجمة محجوب عمر ، طبع دار الطليعة ، بيروت ، ، ص٦٥.

١٦- زهور مناد، مسألة الهجرة في العلاقات الأوروومغاربية: الرهانات والآفاق، رسالة ماجستير في العلوم السياسية، غير منشورة، جامعة الجزائر، كلية العلوم السياسية والإعلام، ٢٠٠٤، ص ٢٣.

١٧- عبد اللطيف زرنحي، هجرة الأدمغة العربية وأثرها على المجتمع العربي، الجمعية السورية الكونية./**http : www.ascssf.org.syconf**

١٨- ابو الوفاء محمد، نزيف العقول في العالم العربي مازال مستمرا، مقال، مجلة الجزيرة، العدد ١٠٤ الثلاثاء ٢٦ _١١-٢٠٠٤.

١٩- بركات حليم، هجرة الأدمغة العربية ظاهرة اجتماعية، مجلة المستقبل العربي (العدد ٢٦٠)، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت- لبنان.

20- jamelbouoiyour, « Migration diasporas et développement humain » , article publié sur internet : www.rdh50.ma/fr/pdf/contribution/GT3-8.pdf.

٢١- أ.د/ م، س. أوكيل ،" **إدارة الكفاءات والمعارف في البلدان النامية والعربية: تقارب الاستفادة من العقول المهاجرة**،"جامعة الملك فهد للبترول والمعادن، المملكة العربية السعودية، ص ٨.

٢٢- علي براجل،" اتجاهات الإصلاح التربوي ومشكلاته في العالم العربي" سلسلة اصدارات مخبر التربية والتنمية الاجتماعية، دار الغرب، وهران ٢٠٠٢، ص ٢٢.

٢٣- سلسلة موعدك التربوي، المركز الوطني للوثائق التربوية، الجزائر، ٢٠٠٨، العدد ١٠، ص ٨.

٢٤- قورين حاج قويدر، واقع ومتطلبات إصلاح مناهج التعليم الجامعي في الجزائر مع الاشارة إلى حالة ماليزيا ومقومات نجاحها"، مجلة العلوم الانسانية، العدد٣٦، ٢٠٠٨.

٢٥ – كلمة رئيس الجمهورية خلال الافتتاح الرسمي للدخول الجامعي ٢٠٠٩-٢٠١٠، سطيف، ١٢ نوفمبر ٢٠٠٩.

obeikandl.com